الباب الخامس

أهم الأحداث في رمضان

لقد امتلأت أيام الشهر الكريم بالأحداث المهمة التي أثرت التاريخ الإسلام ومن أهم هذه الأحداث:-

- نزول الوحي على الرسول الكريم في شهر رمضان في السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة.
- غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة.
- غزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة.
- معركة القادسية في السنة الخامسة عشرة من الهجرة والتي قضى فيها على المجوسية بفارس.
- فتح الأندلس في السنة الثانية والتسعين بقيادة طارق بن زياد.
- تم بناء الجامع الأزهر بمصر في سنة إحدى وستين وخمسمائة.
- تم طرد الصليبيين من سوريا على يد صلاح الدين الأيوبي سنة أربع وثمانية وخمسمائة.
- موقعة عين جالوت انتصر فيها المسلمون على التتار في سنة ثماني وخمسين وستمائة.
- واقعة الزلاقة بين مسلمي الأندلس والافرنج سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتم النصر للمسلمين فيها.
- وفي رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف تم عبور القوات المصرية لقناة السويس وطرد القوات الإسرائيلية.
- وهناك أيضا بعض الأحداث المؤسفة التي حدثت في شهر رمضان ومنها.
- وفاة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ سنة ثماني وخمسين من الهجرة.
- وفاة على بن أبي طالب في السنة الأربعين من الهجرة.
- وسنتناول بعض هذه الأحداث بالشرح والتوضيح. حيث إن المجال لا يسمح بتناولها جميعاً.

نـزول الوحـى فـى رمضـان

في شهر رمضان فضائل جمة.. ومن ذلك أنه الشهر الذي أنزلت فيه الكتب السماوية، ففي أول ليلة منه أنزلت صحف إبراهيم، وفي الليلة السادسة منه أنزلت التوراة على موسى، وفي الليلة الثالثة عشرة منه أنزل الإنجيل على عيسى، وفي ليلة القدر منه أنزل القرآن الكريم .

وهو أعظم حدث وقع فى رمضان العظيم هو ـ بلا جدال ـ نزول القرآن الكريم، فى يوم الاثنين السابع عشر ـ أو الرابع والعشرين ـ من شهر رمضان، من السنة الثالثة عشرة قبل هجرة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بدأ نزول الوحى على رسول الله (١)

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ . ويقول عن الليلة التى بدأ فيها هذا النزول : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . ويقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

ولقد كان عمر النبي ﷺ حين نزل القرآن أربعين عاماً ، وكان قبل ذلك بحين من الزمان يرى في نومه الرؤيا ، فتتحقق في دنيا الواقع واضحة صريحة ، كأنها ضوء النهار الساطع ، وذلك لصفاء نفسه وطهارة روحه ، وإعداد الله له، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ثم حبب الله تعالى إلى رسوله ﷺ الخلوة بعيداً عن الناس، ليتأمل ويتدبر ويتعبد عن طريق « الحنيفية » دين جده إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ،

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج٢ ص ٣٨٩و٣٩٢ ، وقال النبى عن يوم الاثنين: " ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم أنزل علىّ فيه " .

وليزداد استعدادا لتلقى الوحى الجليل ، فكان يخلو فى غار « حراء » بجوار مكة ، فيظل هناك أياما ، ثم يعود إلى زوجته الوفية : السيدة خديجة ، فيتزود بما يحتاج إليه ، ثم يعود ، وهكذا دواليك.

وذات ليلة هى خير الليالى فى تاريخ البشرية بلا ريب ، كان الرسول ﷺ فى غار حراء ، والسكون سائد ، وفجأة غمر النور الساطع أركان الغار، وأقبل سفير الرحمن جبريل على الرسول يقول له: اقرأ ، فأجاب الرسول فى دهشة : ما أنا بقارئ (أى لا أحسن القراءة ، أو لعله استفهام عما يقرأ) ، فأخذ جبريل النبى وضغط عليه تنبيهاً وتدريباً له على تحمل أعباء النبوة، حتى أحس النبى بالتعب .

وأرسله جبريل وقال له مرة أخرى : اقرأ ، فكان جوابه كما سبق : ما أنا بقارئ، ففعل معه جبريل ما فعل فى المرة السابقة ، ثم تكرر ذلك مرة ثالثة ، ثم قال له جبريل : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

فكانت هذه الآيات أول ما نزل من كلام الله العزيز المجيد، وفاز بهذه المكرمة العظمى شهر رمضان ، ولا شك أن نزول القرآن كان أعظم منه أهداها الخالق الوهاب إلى عباده، وكان أجل حدث وقع فى تاريخ البشرية ، ولعل الله تبارك وتعالى قد أشار إلى جلال هذا الحدث حين قال فى سورة الحشر: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

بل كان الله جل جلاله قد أراد أن يلفت أبصارنا إلى جلال نزول القرآن، فتحدث سبحانه فى عشرات من آيات كتابه عن هذا الإنزال ، فقال يخاطب رسوله فى سورة النساء: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، وقال فى سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، وقال فى سورة النحل : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ، وقال أيضاً : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ، وقال فى سورة الإسراء : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقال فى سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا . قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ

لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ، وقال فى سورة الفرقان : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وهذا جانب من عشرات الآيات الكريمة التى تتحدث عن نزول القرآن لإشعار القلوب والعقول بجلال هذا النزول الذى وقع فى الشهر المبارك : شهر رمضان .

وإذا كان الوحى قد بدأ نزوله قبل أن يبدأ النبى دعوة الناس إلى الإسلام، فإن هذا مما يشير إلى سابق تكريم الله لرمضان ، ويزداد هذا المعنى وضوحاً حين نطالع ما رواه أحمد وابن مردويه ، وهو الحديث القائل « أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وحين نتأكد من صحة هذا الحديث نفهم أن التكريم الإلهى لشهر رمضان كان منذ قديم الأزمان، وأن الحق جل جلاله أراد لحكمة يعلمها أن يربط بين هذا الشهر ووحيه إلى إعلام أنبيائه ورسله ، وكانت هذه الحكمة هى أن يكون رمضان موسما لتجديد الصلة بالله ، والعودة إلى صراطه ، والعكوف على كلامه ، فيتجدد تطهير البشرية بهدى الله العلى الكبير.

●●●

وينبغى لنا - بل يجب علينا - أن نطيل التأمل فى قيمة النعمة التى من الله بها على عباده فى رمضان بإنزال القرآن، لأن شأن القرآن دونه كل شأن، والله تعالى يقول فى سورة الواقعة : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ويقول فى سورة الشورى :﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾، ويقول فى سورة المائدة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

إنه القرآن الذى يجب أن تستمسك به دائما وأبدا أمة القرآن ، ففيه الدواء ، وفيه الشفاء ، وفيه الغذاء ، وفيه الهناء: فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أرانا مكانة القرآن بهذه الصورة ، فإن نبي القرآن قد زادنا إشعارا بمنزلة هذا الهدى الإلهى العظيم فقال : « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » وروى الترمذي بسند غريب عن الحارث الأعور ﷺ قال : مررت في المسجد ، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على علي ﷺ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى أن الناس قد خاضوا فى الأحاديث : قال : وقد فعلوها؟ فقلت : نعم ، قال :

أما أنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إلا أنها ستكون فتنة ، فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله؟.

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء (لا تميل عن الحق)، ولا تلتبس به الألسنة (أى لا يختلط به غيره) ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد (لا يبلى مع كثرة تلاوته وترديده) ولا تنقضى عجائبه .

هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا : ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

ثم قال الإمام علي عقب ذلك للأعور؛ خذها إليك يا أعور (أي تمسك بالعمل بهذه الوصية). وكذلك قال النبى صلوات الله وسلامه عليه محببا فى الإقبال على القرآن، والاستفادة به ، والدعوة إليه ، وخاصة فى شهر رمضان : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

وحذر النبى أتباعه أن يهجروا القرآن أو يبعدوا عنه ، فقال : إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب ، ودعاهم إلى الجلوس على مائدته قدر استطاعتهم ، فقال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم».

وبشرهم بالخير العميم والفضل العظيم، إذا عكفوا عليه. وأخذوا منه، ورجعوا إليه ، وعملوا به فقال:

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »..

●●●

والليلة التى نزل فيها القرآن تسمى « ليلة القدر » أى ليلة الشرف والعظمة والمنزلة العالية الرفيعة ، وهى ليلة يزدان بها شهر رمضان العظيم، وقد وصفها القرآن كما سبق بأنها « مباركة » وبأنها « يفرق فيها كل أمر حكيم ، أى يبين ويفصل ، وبأنها « خير من ألف شهر» وليس المراد من ذكر " الألف " هنا تحديد العدد ، وإنما يذكر " الألف " دلالة على الكثرة ، لأن ليلة القدر خير من مئات الآلاف من الشهور، والله أعلم بمراده.

وقد سبق إخبار الرسول ﷺ عن ليلة القدر بأنها " ليلة الله " ، وأن المحروم من خيرها يكون محروما من كل خير ، لأن خيرها الأول والأعظم هو القرآن ، لنزوله فيها ، وإذا أعرض الإنسان عن القرآن ، ولم يهتد بهدايته ، كان محروما كل الحرمان.

والمفهوم من السنة النبوية أن ليلة القدر تلتمس فى العشر الأواخر من رمضان، ولذلك جاء فى الحديث المتفق عليه : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » ، وفى الحديث الثانى : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » ، وهذا تخصيص بعد تعميم ، وفى الحديث الثالث : « من كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » وهذا تخصيص بعد تخصيص .

وقد روت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله وأيقظ أهله ، وشد المئزر كنايه عن الجد والاجتهاد فى الطاعة ، وعن عائشة أيضاً أن النبى ﷺ كان " يجاور " فى العشر الأواخر من رمضان ، أى يعتكف فى المسجد التماسا لليلة القدر.

غـــزوة بـــدر الكـــبرى

كانت هذه الغزوة أولى الغزوات المشهودة فى تاريخ الإسلام، وكانت فى السنة الثانية بعد الهجرة ، وكانت فى شهر رمضان المبارك من السنة المذكورة، وكانت فى اليوم السابع عشر من هذا الشهر.

ولجلال هذه الغزوة ورفعة شأنها، سماها مؤرخو السيرة العطرة بطائفة من الأسماء التى تدل على جلالها وعظمتها، فسموها " غزوة بدر الكبرى " و" غزوة بدر العظمى " و "يوم وقعة بدر " وسماها القرآن الكريم " يوم الفرقان " و " يوم التقى الجمعان " ، فذلك حيث يقول كتاب الله المجيد : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وبعض المؤرخين سماها : " يوم البطشة الكبرى " أخذا من قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

ولقد قضى الرسول ﷺ المدة التى أعقبت الهجرة وتمت هذه الغزوة فى إرسال السرايا والطلائع التى أراد منها إشعار المشركين بأن المسلمين المهاجرين لم يذلوا ولم يهونوا بسبب هذه الهجرة ، بل هم ما زالوا فى تماسك وتعاون ، وأراد منها كذلك أن يعقد مصالحات ومعاهدات مع الذين يحيطون بالمدينة من جموع أو قبائل، حتى لا تأتيه الطعنات من الخلف إذا بدأ المعركة مع المشركين وجهاً لوجه، كما أراد التعرض لقوافل المشركين التجارية ليستولى عليها كتعويض جزئى عن أملاك المسلمين التى استولى عليها المشركون عند الهجرة وعقبها.

ولقد أرسل النبى ﷺ فى شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة عمه البطل "حمزة بن عبد المطلب" ، ومعه ثلاثون فارسا من المهاجرين إلى ناحية تسمى "العيص" ، بالقرب من ساحل البحر الأحمر ، ليعرض طريق قافلة كانت ذاهبة إلى الشام ، يقودها عدو الله وعدو ورسوله ، وعدو الإسلام والمسلمين، أبو جهل.

وفى شوال من السنة نفسها بعث النبى : عبيدة بن الحارث ومعه ثلاثون رجلا فى سرية بلغت ماء بأرض الحجاز، بأسفل " ثنية المرة " للاستطلاع والاستكشاف.

وفى بداية السنة الثانية خرج النبى بنفسه فى سرية ، حتى بلغ قريه " ودان " ، وعقد مصالحة مع قبيلة " بنى ضمرة " ، وكتب النبى فى ذلك كتابا يقول :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة " بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصرة على من رامهم (أى هاجمهم إلا أن يحاربوا فى دين الله، ما بل بحر صوفة (أى ما بقى فيه ماء يبل الصوفة ، وهذا موجود باستمرار) ، وأن النبى ﷺ إذا دعاهم لنصر أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله".

وقضى النبى فى هذه السرية نحو خمسة عشر يوما بعيدا عن المدينة.

●●●

ثم أقبلت بوادر الغزوة الكبرى... غزوة بدر..

فى شهر جماد الأولى من السنة الثانية علم رسول الله ﷺ أن قافلة تجارية ضخمة للمشركين الباغين المعتدين، قد أخذت طريقها نحو الشام ، وفيها ما قيمته خمسون ألف دينار، وقد حملها ألف بعير، ويقودها أبو سفيان بن حرب الذى كان زعيما للمشركين فى ذلك الوقت [1]، فخرج رسول الله ﷺ ومعه نحو المائتين من أصحابه ، ليقطع الطريق على قافلة الأعداء فى مقابل ما استولوا عليه من أموال المسلمين المهاجرين من ديار وعقار و أشياء أخرى .

وسار النبى حتى بلغ مكانا يسمى " العشيرة " ، وهناك علم أن القافلة قد مرت قبل وصوله .

وحالف الرسول فى هذه المرحلة قبيلة " بنى مدلج ".

وفى شهر رجب أرسل النبى عبد الله بن جحش الأسدى مع مجموعة من المهاجرين، وأعطاه كتابا مختوما ، وأمره ألا يفتحه إلا بعد يومين من سيره في الطريق الذى عينه له الرسول ﷺ، وبعد اليومين فتح عبدالله الكتاب ، فوجد فيه ما يلى : « إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف فترصد لنا قريشا ؛ وتعلم لنا من أخبارها ».

---

(١) وقد أسلم فيما بعد ، عند فتح مكة.

وحدثت مناوشة بين عبدالله وزملائه من جهه وقافلة المشركين من جهة أخرى ، ووقع جانب من القتال انتصر فيه عبد الله وزملاؤه ، وعادوا ببعض الغنائم [1].

●●●

وجعل الرسول ينتظر عودة القافلة التى يقودها أبو سفيان من الشام إلى مكة، ليتعرض لها ، ويستولى عليها، تعويضاً ، جزئياً عن الأموال التى أخذها المشركون من المهاجرين، وكان النبى يقصد أيضاً إضعاف الناحية الاقتصادية عند المشركين ، لعلمه بارتباط هذه الناحية ارتباطا وثيقا بالناحية العسكرية ؛ فإذا ضعف التموين أو قل، أثر تأثيرا قويا فى حالة القتال والحرب.

وأرسل النبى اثنين من صحابته ، هما طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد " ليستطلعا أخبار القافلة ويترقبا عودتها ، حتى يخبرا الرسول عند اقترابها فيخرج إليها ، فمضى الصحابيان ونزلا فى مكان يسمى " الحوراء " ؛ ولما علما باقتراب القافلة سارعاً بإخبار الرسول عنها ".

وانتهز الرسول الفرصة، واستخدم عنصر السرعة، فعجل باستدعاء الحاضرين من المسلمين ليشاورهم ، حتى لا يحسبوا أنه قد انفرد بالأمر وحده ، ولو كان نبياً ورسولا.

جمع النبى المسلمين وقال لهم : هذه عير قريش (أى قافلة المشركين)، فيها أموالكم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها (أى يجعل ما فيها أنفالا لكم، أى غنائم مباحة لكم).

فاستجاب فريق من المسلمين للخروج ، ولم ينشط فريق آخر لهذا الخروج، وذلك لأن الرسول لم يفرض عليهم أن يخرجوا، وظن الباقون أن الأمر لا يزيد على مهمة الاستيلاء على القافلة، وهى مهمة، يسيرة، لأن القافلة محروسة بنحو أربعين رجلا، والذين استجابوا قد زادوا على الثلاثمائة بقليل؛ فلا داعى إذن لكى يخرج الجميع.

وخرج الرسول ﷺ بالذين استجابوا فى اليوم الثامن من شهر رمضان ، بعد أن كلف عبدالله بن أم مكتوم أن يصلى بالناس فى المدينة، وجعل أبا لبابة واليا

---

(١) انظر تفاصيل هذه السرية فى كتاب " الفداء فى الإسلام " ص ٨٥-٩٢.

عليها ، وأذن لعثمان بن عفان أن يبقى بالمدينة لتمريض زوجته " رقية " بنت رسول الله ﷺ .

وكان عدد الخارجين مع الرسول ﷺ ثلاثمائة وخمسة ، ومعهم سبعون بعيرا ، فكان الثلاثة أو الأربعة منهم يشتركون فى ركوب البعير الواحد بالتناوب ؛ ولقد اشترك النبى نفسه مع على بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى فى ركوب بعير ، فقال على ومرثد : « اركب ونحن نمشى عنك يا رسول الله» .

فرفض الرسول ﷺ ذلك ، وأمر أن يأخذ حصته من المشى كما يأخذان ، وقال لهما : « ما أنتما بأقوى منى على المشى ، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر».

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يدعو لقومه بالفوز والتوفيق. فيقول: « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فأشبعهم » ، وهذا الدعاء يصور شدة الحالة الاقتصادية التى كان عليها المسلمون ؛ والتى نشأت بسبب اضطرار المسلمين إلى الهجرة .

ولما بلغ الرسول مع قومه المكان الذى كان مقدراً أن تمر منه القافلة علموا أن قائدها أبا سفيان نجا بها ، لأنه سلك طريقا آخر غير الطريق المعتاد .

فكيف حدث هذا؟ .

كان أبو سفيان يحس فى أعماق نفسه بأن المسلمين سيترصدون له ، وأنهم إذا استطاعوا الوصول إليه ، فسيستولون على كل ما معه ، ولذلك كان يتحسس الأخبار من كل مكان وهو فى طريقه بالقافلة ، وحدث أن سأل أبوسفيان بعض الأعراب الذين لقيهم فى الطريق : هل شاهدت أحدا ؟ فأجابه بأنه لم ير سوى رجلين ألما بالماء واستقيا منه ، ومعهما بعيران لهما ، ثم ارتحلا.

فذهب أبو سفيان إلى ناحية البئر ، وبحث فى الأرض فوجد فيها بعرات ، ففت بعضها بيده ، فوجد فيها نوى المدينة ، فأدرك بقوة ملاحظته أن الرجلين من المسلمين ، وأحس أن هناك حركة تتبع لها ، فسارع وابتعد بالقافلة عن الطريق المعتاد ، واتجه بها نحو الساحل حتى يسير بها فى طريق غير مألوف ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل رجلا إلى المشركين فى مكة يخبرهم بأن المسلمين يترصدون للقافلة وأنهم سيستولون عليها ، فليبادروا بالخروج لإنقاذها وحمايتها حتى تصلهم سالمة.

واستجاب المشركون لنداء الشر، وزادهم تحريضاً أبو جهل اللعين ، حتى أجمعوا على الخروج للحرب، ولما هم أحدهم، وهو أمية بن خلف، أن يتخلف جاءه أبوجهل، ومعه مكحلة ومرود، وجاءه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها بخور ، وقال أبو جهل لأمية : اكتحل يا أبا على ؛ فإنما أنت امرأة، وقال عقبة : استجمر يا أبا على ، فإنما أنت من النساء.

فثارت حمية أمية ، وأخذته العزة بالاثم ، وخاف الفضيحة والعار ، فسارع بالخروج مع القوم.

●●●

ونترك هذه المجموعة المشركة التى قاربت الألف تتابع خطواتها الأثيمة نحو بئر بدر ، ونعود لنرى ماذا صنع النبى وأصحابه.

لقد بلغوا طريق القافلة وبحثوا عنها ، ثم عرفوا أنها أفلتت من أيديهم للمرة الثانية، وبينما هم فى تفكير وتأمل لما حدث ، بلغهم أن المشركين قد خرجوا يريدون حرب المسلمين والتنكيل بهم ؛ تأديبا لهم على تفكيرهم فى التعرض للقافلة .

وهنا جاء الموقف الحاسم ...

ماذا يصنع المسلمون ؟

لقد خرجوا فى عددهم القليل الذى عرفناه ، وكل فكرتهم عن الأمر أنهم سيعترضون طريق القافلة، ويستولون عليها فى مقابل ما أخذه منهم المشركون.

ولكنهم بعد خروجهم عرفوا ـ كما رأينا ـ أن القافلة قد أفلتت من أيديهم ، وأن المشركين قد خرجوا لقتالهم، وهم فى الطريق إليهم، فماذا يصنعون؟

أيرجعون أم ينتظرون ؟.. إن عددهم القليل سيلاقى إذا انتظروا جمع المشركين بعدتهم وسلاحهم، ولكن التقهقر والارتداد إلى المدينة أمام جيش زاحف، أشد خطراً وأسوأ عاقبة ؛ لأنه سيورث مسبة وتوهينا، وقد جاء فى الحديث ، « ما غزى قوم فى دارهم إلا ذلوا » : .

لابد إذن من الصبر والثبات ، ليكن ما يكون.

وأراد الرسول ﷺ أن يستشير صحابته كعادته ، لا يحب أن ينفرد برأى ، ولا أن يفرض وجهة ، ولا أن يسوقهم على الرغم منهم إلى خطة ، فقال لهم مستشيرا ومثيرا:

إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول ، فما تقولون ؟. العير أحب إليكم أم النفير؟ . (والعير يقصد بها القافلة ؛ والنفير هو القتال).

ونهض المقداد بن عمرو ، فقال :

يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون ، ولكنا نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، ما دامت فينا عين تطرف ، فوالله الذى بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا إلى برك الغماد (بلد بالحبشة) لسرنا معك .

ولاح الرضا والسرور على وجه الرسول ﷺ من هذه الإجابة وتلك الحماسة ، ولكنه عاد يقول: أشيروا علىَّ أيها الناس:

لقد سمع كلمة المهاجرين .. سمعها صريحة جريئة مدوية ، ولكنه أراد أن يسمع كلمة الأنصار ، وكان حريصاً على سماعها ، لأن المعاهدة التى عقدها مع الأنصار فى بيعة العقبة قبيل الهجرة ، كانت تنص على أن يقوم الأنصار بحماية النبى إذا هوجم داخل المدينة ؛ فخاف النبى أن يظن الأنصار أنه يسوقهم إلى حرب خارج بلدهم لم يقدروا عليها ، ولذلك أراد أن يستوثق من موقفهم ، ويتأكد أنهم حين يخرجون إلى الغزوة يخرجون باختيارهم ورضاهم ، وبذلك تقوى عزيمتهم وتثبت أقدامهم فى المعركة.

وكان الأنصار قد فهموا ما أراده الرسول ، فوقف معهم سعد بن معاذ وقال ، لعلك تريدنا معاشر الأنصار يا رسول الله؟ .

فقال النبى : أجل.

فقال سعد : يا رسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها ألا ينصروك إلا فى ديارهم ، وإنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاطعن حيث شئت ، وصل حبل من شئت ، وسالم من شئت ، وعادى من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت كان أحب إلينا أخذه عما تركت. .

فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، والذى معك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما تكره أن

تلقى بنا عدونا غدا ، وإنا لصبر فى الحرب (جمع صبور) صدق فى اللقاء (جمع صدوق) لعل الله تعالى يريك ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى.

وزاد سرور الرسول فقال : « سيروا وابشروا ؛ فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين : العير أو النفير فو الله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم!».

وهكذا انطلق الجيش المؤمن القليل فى عدده ، الجميل فى إيمانه ويقينه ، بعد أن اجتمع على كلمة واحدة ، ووجهة واحدة ، وقائد واحد . وهدف واحد ، هو إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل، والانتصاف من البغاة الظالمين.

ونعود لنرى ماذا كان من شأن الكافرين.

لقد نجا أبو سفيان بالقافلة ؛ وأصبح فى مأمن ، فبعث رسولا ثانياً إلى قومه يخبرهم أنه لا داعى لخروجهم ، لأن القافلة قد سلمت ونجت.

ولكن، أيرضى الغرور والكبرياء بذلك ؟، أيخرج الطغاة على نية القتال ويعودون دون أن يحققوا نيتهم ؟. إن الطغيان لا يقبل هذا المنطق ، ولذلك قال أبوجهل: والله لا يرجع حتى تأتى بدرا ، فنقيم هناك ثلاث ليال ، ننحر الجزر، ونطعم الطعام ؛ ونسقى الخمر ، وتعزف لنا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدا ، وتغلبت صيحة الشيطان فمضوا فى طريق البهتان.

ولما دنوا من مكان المسلمين أرسلوا واحدا منهم يستطلع الأخبار ، وبعد قليل رجع إليهم يقول لهم عن المسلمين:

إنهم ثلاثمائة ، يزيدون قليلا ، أو ينقصون قليلا ، لا كمين لهم ولا مورد ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم ؛ فلا يموت الرجل منهم قبل أن يقتل رجلا مثله.

ونزل الرسول أول الأمر عند أول ماء قابلهم بقرب بئر بدر ، وكان بعد هذا الماء أماكن أخرى للماء تقع بين المسلمين والكافرين ، فجاء الحباب بن المنذر الصحابى ، وسأل الرسول عن المنزل الذى نزل فيه : أهذا بأمر الله ووحيه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟.

وأجابه الرسول ﷺ: بل هو الحرب والرأى والمكيدة.

فقال الحباب ، يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، ثم أشار بأن يتقدموا حتى يجعلوا جميع أماكن الماء وراءهم ؛ ثم يجمعوها فى حوض واحد ، وبذلك تكون أماكن المياه وراء المسلمين، وليس شىء منها أمام الكافرين.

ورأى النبى أن هذا هو الرأى الرشيد ، فلم يكبر عليه أن يرجع إليه ، فأمر بتنفيذ ما أشار به الحباب.

وهكذا نرى أن المسلمين أدركوا قيمة " التموين " فى تسيير المعركة، ولا شك أن الماء فى طليعة موارد التموين أهمية ، ولذلك حرصوا على أن يجعلوا مكان الماء كله وراءهم وفى حمايتهم.

●●●

وتراءى الجمعان... ولابد لكى تشتعل المعركة من شرارة تشعلها، فكيف جاءت هذه الشرارة ؟ . تحرش المشركون بالمسلمين ؛ وأظهروا التحدى لهم ، فهجم أحد المشركين على صف المسلمين يحاول اختراقه ليبلغ الماء من خلفهم متحديا لهم، فعاجله حمزة بن عبد المطلب بضربة قضت عليه.

وعقب هذا خرج ثلاثة من المشركين يطالبون بأن يخرج إليهم ثلاثة من المسلمين للمبارزة ، وخرج الثلاثة وبدأت المبارزة ، وكانت النتيجة أن انتصر المسلمون الثلاثة ، وقضوا على أعدائهم الثلاثة.

وهنا جاء الالتحام والقتال العام ... وتحقق النصر فى النهاية لأبناء الإسلام.

وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة.

●●●

يـوم الفتـح فـى رمضـــان

فى اليوم العشرين من شهر رمضان المبارك، من السنة الثامنة للهجرة؛ كان فتح مكة، الذى عز به الإسلام ، وارتفعت كلمة الإيمان ، ونزل فيه قول القرآن : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

وإذا كان الرسول ﷺ قد أخذ يتهيأ لفتح مكة خلال الأيام الأولى من شهر رمضان المذكور، وأخذت بوادر هذا التهيؤ تظهر فى اليوم الثامن منه ، وأخذت جنود الله تتحرك نحو هدفها فى اليوم العاشر، فإن الفتح قد تحقق فى اليوم العشرين ، وتكاملت صورته فى اليوم الخامس والعشرين.

ولا ريب أن يوم فتح مكة من أيام الإسلام المشرقة الصفحات ، الباهرة اللمحات، العميقة العظات ، وهو اليوم المجيد المشهود ، الذى أراد فيه الله تبارك وتعالى أن يضع فيه حداً للضلال والبهتان، وأن يمكن فيه لليقين والإيمان، وأن يتم بفضله على دعوة الحق فتحا مبينا بلا قتال أو صدام.

فهذا رسول الله عليه صلوات الله وسلامه يوقع قبيل الفتح عهد " الحديبية " مع قريش ، على الرغم مما فيه من شروط تبدو فى ظاهرها شديدة ، ولكن النبى يقبلها لأمر يريد الله أن يبلغه : " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ، ولأنه يريد حينئذ توطيد السلام ونشر الاسلام.

ومع ذلك نقض المشركون العهد وخانوا الميثاق ، واعتدوا على حلفاء المسلمين من قبيلة " خزاعة " وقتلوا منهم عشرين على حين غفلة ، كما يفعل المجرمون الأخساء الذين لا عهد لهم ، ولا هادى يهديهم من شرف أو وفاء .

وأرسلت خزاعة عمرو بن سالم ليستنجد لها برسول الله والمسلمين ، فقدم عمرو على الرسول ﷺ ؛ وأنشده أبياتا فيها:

يـــا رب إنـــى ناشـــد محمــداً حلــف أبيـــه وأبينـــا الأتلـــدا
فانصـــر رســـول الله نصـــرا أبـــدا وادع عبـــاد الله يـــأتوا مـــددا
فـــيهم رســـول الله قـــد تجـــردا إن سـيم خسـفا وجهـه تربـدا
فى فيلق كـالحرب يجـرى مزبـدا إن قريشــا أخلفــوك الموعــدا
ونقضـــوا ميثاقـــك المؤكـــدا وجعلـوا لى فى كـداء رصـدا

فقال النبى مستجيبا للنداء : « نصرت يا عمرو بن سالم » !

وأحس المشركون بسوء ما فعلوا، وقدروا تبعات ما اقترفوا، وحاولوا أن يخادعوا المسلمين ، فجاء أبو سفيان بن حرب إلى المدينة ، عقيب ذلك العدوان؛ وقد كان زعيما لهؤلاء يومئذ، يحاول لقاء الرسول، ظانا أنه لم يعلم بنقض العهد بعد . ويريد أن يؤكد العهد أو يجدده ويزيد مدته : وهيهات .

وكانت بنته أم حبيبة زوجة للرسول ، فأراد أبو سفيان أن يستغل هذه العلاقة، فدخل على ابنته يريد أن ينتفع بها فى مسعاه ، وخاب فأله، فلقد أراد أن يجلس على فراش النبى ؛ وهو لم يطهر بالإسلام ، فطوت السيدة أم حبيبة الفراش عنه ، فعجب منها وقال لها: يا بنية، ما أدرى، أرغبت بى عن هذا الفراش (أى تكريما لى عنه) أم رغبت به عنى (أى ارتفعت به علىَّ) ؟

فأجابته إجابة المؤمنة التى تنسى فى سبيل ربها ونبيها وعقيدتها كل صلة وكل قرابة.

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ.

فدهش أبو سفيان أن يحقق شيئاً مما جاء له ، فلم يفز بطائل ، وعاد إلى مكة بخفى حنين.

●●●

وانتهز الرسول الفرصة، ليضرب ضربته الصالحة المصلحة، التى يزهق بها روح الفساد، ويثبت بها دعائم الحق ؛ فجمع الجموع بسرعة، فى كتمان وإسرار، وخرج فى اليوم العاشر من شهر رمضان ، وحوله عشرة آلاف ، أو اثنا عشر ألفا يريد فتح مكة سرا وفجأة وبلا معركة، وأوعب معه الناس، فلم يتخلف عنه قادر من المهاجرين والأنصار ، وكان يريد بهذه الكثرة أن يجعل

المشركين أمام الأمر الواقع ؛ فلا يطيقوا مقاومة هذا الجيش الضخم، فيستسلموا ولا يكون هناك قتال ولا نزال.

ولذلك أخفى الرسول مقصده ، وحث قومه على الجد والسرعة ، وجعل يدعو ربه قائلا : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، اللهم خلا على أسماعهم وأبصارهم، فلا يرونها إلا بغتة، ولا يسمعوا بنا إلا فجأة».

وتلك هى طريقة الحرب الخاطفة، سبق إليها محمد عليه الصلاة والسلام قبل مئات ومئات من السنين ، ولكنه لم يستخدمها ـ كما يصنع طواغيت الحروب وجبابرة المعارك ـ للتدمير أو الاستعباد ، بل لنشر السلام ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وتحطيم الأغلال والأصفاد، وتحرير العباد والبلاد.

وكان الرسول ﷺ فى أول الأمر صانعا، والمسلمون كذلك ، ولكنه حينما بلغ موضعاً على الطريق يسمى " الكديد " أفطر ، وأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ؛ وأمرهم الرسول بالإفطار جميعاً حين بلغ أقرب منزل يقدر أن يلقى فيه العدو؛ وحينما علم أن بعضهم ظلوا صائمين قال عنهم : أولئك العصاة".

وروى عبد الله بن عباس قال ؛ خرج رسول الله ﷺ عام الفتح فى رمضان ؛ فصام وصام المسلمون معه، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء فى قعب ، وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون، يعلمهم أنه قد أفطر ، فأفطر المسلمون.

ولقد روى عن سعيد بن جبير أن عمر بن الخطاب جاء إلى قوم محاصرى حصن فأمرهم أن يفطروا ، وجاء ذلك فى كتاب " زوائد المسانيد الثمانية " كما ذكر الطبرى فى تاريخه ، وابن كثير فى كتابه " البداية والنهاية " إن القائد الإسلامى الفاتح : المثنى به حارثة الشيبانى أمر المجاهدين فى غزوة "البويب" وهو مكان بقرب الكوفة أن يفطروا ؛ فأفطروا عن آخرهم ليكون ذلك أقوى لهم.

●●●

وسار ركب الرسول الحاشد ؛ وخرج أبو سفيان يتحسس ويستطلع، وفى ذهنه ما فيه من دهشة، لتخاذل الكفر يوما بعد يوم، وسطوع الإيمان حينا بعد حين، وما هى إلا لحظات، حتى يلتقي بالرسول، ويسلم، ويخضع للحق ، ومازال الركب على الطريق.

ويأمر النبى عمه العباس أن يقف بأبى سفيان عند مضيق الوادى " حتى تمر به جنود الله فيراها " !.

ولما رأى أبو سفيان ما رأى من الجنود والحشود ، وخاصة عند المكان الضيق الذى جعل مسيرة الجيش المسلم تمتد وتطول ، حتى تستطيع أن تمر به تباعا من هذا المضيق ؛ قال للعباس دهشاً : « والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ».

فصحح له العباس فكرته قائلا : « ويحك يا أبا سفيان ، إنه ليس ملكا ، ولكنها النبوة » .

فأذعن أبو سفيان وقال : فنعم إذن.

وبعد أن خرج أبو سفيان من مكة، منذ قليل ، زعيما للمشركين ، عاد إليها يتقدم الركب وهو أحد المسلمين ؛ ليبدأ بعد قليل فى تثبيط المشركين ، ودعوتهم إلى التسليم حيث لا فائدة من المقاومة ، ولينادى فيهم بعد قليل بإكرام الرسول له الذى جمع فيه بين إرضاء فخره ، وتحقيق ما يريده من سلام ، وهو قوله : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » !.

وياله من صنع إلهى ؛ أن ينقلب المحرض القوى ضد الاسلام داعيا قويا يمهد الطريق للإسلام والسلام، والله يؤيد دينه بمن يشاء ، وسبحان من يأخذ بنواصى العباد إلى حيث أراد !.

●●●

وينبغى أن نتذكر هنا أن النصر فى المعارك الفاصلة التى تنتهى بها الحروب العامة نشوة تغرى بالطغيان فى التشفى إذا كان المنتصر ظالماً، وبالانتصاف والتأديب إذا كان عادلا ، ولا يتيسر الصفح الجميل والعفو النبيل فى مثل هذه المواقف إلا لصفوة الله من خلقه.

ولعل السيئات التى تنجم عن سوء استغلال النصر قد تفوق أحيانا السيئات التى تنجم عن الاعتداء فى أول الصراع ، والرجل الحكيم هو الذى يحسب ليوم النصر حسابه ، ويعد له عدته ؛ فيوطن نفسه على كبح جماحها عند الغلبة، وصد النشوة عن امتدادها كيلا تطغى ، وغاية السمو هنا أن تمتد يد المنتصر بالإصلاح ورأب الصدع ومداواة الجراح عند أعداء الأمس ، قبل الانتصاف

والاقتضاء ، وبهذا الإصلاح يسترق المنتصر هؤلاء الأعداء ، فطالما استعبد الإنسان إحسان .

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ وهو فى أوج انتصاره يوم فتح مكة ، ويوم غلبته الشاملة على الذين عارضوه واضطهدوه وعذبوه ؛ وأخرجوه من داره بغير حق.

كانت راية رسول الله يوم الفتح بيد سعد بن عبادة ، فلما دنا الجيش العظيم من مكة هتف سعد معبراً عن الرغبة فى الانتقام من قريش والتأديب لها على عداوتها السابقة فقال : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً»!.

فجاء بعض الصحابة إلى الرسول وقالوا : يا رسول الله ، والله لا نأمن سعدا أن تكون منه فى قريش صولة!.

وجاء أبو سفيان زعيم قريش، وكان حديث الإسلام كما عرفنا، فقال يستعطف النبى:

يا رسول الله، أأمرت بقتل قومك، فإنه زعم سعد ومن معه، حين مر بنا أنه قاتلنا، أنشدك الله فى قومك ، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم .

فأجابه الرسول ضاربا أفضل المثل فى حب السلام : يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشاً.

ثم عجل الرسول حسما للنزاع ، وتطمينا للخواطر ؛ وتثبيتا لشرعة السلام ، وتعويدا على كبح الجماح ، فأخذ الراية من يد سعد بن عبادة، ولامه على ما قال ، ثم أراد الرسول فى الوقت نفسه ألا يسرف فى الحملة على سعد، إذ هو صاحب السبق والسوابق الرائعة فى الإسلام، وهو صاحب الماضى المشرف المعروف!

فأعطى الراية لابنه : قيس بن سعد بن عبادة ، فكأنها لم تخرج من يد سعد، إذ هو وابنه سواء .

●●●

وقسم الرسول جيشه الضخم ، وأمر كل قسم بأن يدخل مكة من جهة، لتتم المفاجأة والمباغتة ، فلا يجد الكفار أمامهم إلا التسليم بلا صدام ؛ ونهى

النبى أن يقاتل أحد ، أو يريق دما إلا مضطرا ، وواصل الركب الفاتح مسيرته لدخول مكة ، وكان الرسول يخفض رأسه وهو راكب على راحلته تواضعاً ، وخشية من ربه، وخضوعاً لجلاله ؛ حتى يمس شاربه ظهر الدابة.

ودخلوا مكة فاتحين، وعاد المهاجرون إلى وطنهم ، ورجع الغريب إلى داره ، ودخل محمد مكة التى أخرجته، دخلها بعد غيابه عنها ثمانى سنوات، ورأى مشاهد الوطن الحبيب ، ورأى المسالك والدروب التى سار فيها طفلا وشابا ورجلا ورسولا ؛ وتطلع إلى الشعاب والجبال، حيث أوذى وطورد وعذب ، وتطلع إلى غار حراء حيث تحنث وتعبد وتلقى الوحى، وتطلع إلى الكعبة الحرام ، التى حيل بينه وبينها زمنا طويلا ، فترقرق الدمع فى عينيه من جلال الذكرى وروعة اللقاء ، ولعله تذكر قول ربه العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ .

وطاف الرسول بالبيت العتيق ، وسارع بالتطهير الكامل ، فحطم الأصنام المحيطة بالكعبة ؛ وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وأمر بلال داعى السماء أن يؤذن ، فانطلق الأذان بكلمة التوحيد، ودعوة الصلاة ، وهتاف الفلاح في رحاب البلد الحرام ومن حمى الكعبة الحرام وفتح الرسول بيت ربه وطهره مما فيه من بقايا الجاهلية، مرددا قوله لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

وجاء موقف الجلال الرائع والنبل العظيم ، حين تعلقت عيون المكيين الخائفين بوجه الرسول الذى قال لهم وهم سكوت كأن على رءوسهم الطير : ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فقالوا فى إجلال ورجاء : خيرا؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم.

فقال الرسول السمح ، والنبى الفاتح ، والزعيم المتمكن ، قال لأعدى أعدائه فى الأرض ، بعد أن قهرهم وبهرهم : لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء!.

وكأنما نشروا من القبور حين سمعوا ما سمعوا ؛ فقد كانوا ينتظرون الجزاء العادل تقتيلا وتشريداً، فجاءهم عفوا كريما وصفحا حميداً ، فآمنوا بأن محمداً ﷺ هو رحمة الله المهداة، وإنه رسول هذه الحياة ، الذى جاء ليطهر النفوس ويرفع الجباه!.

وتم النصر المبين والفتح الجليل فى أواخر شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، وتحقق وعد الله الذى بشر به ولفت إليه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

كما تنزل قول الحق : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾.

وأضيفت صفحة جديدة مجيدة ، مشرقة مؤنقة ، إلى سجل الذكريات الخالدة فى شهر رمضان المبارك العظيم .

●●●

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم، من السنة الأربعين للهجرة ، ذاق نعمة الشهادة ، أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب ، ﷺ وأرضاه ؛ وكرم الله وجهه .

ومن خلال ذكرى هذا اليوم المشهود تبدو لنا صورة بطل قل مثيله بين الأبطال ، وفدائى عز نظيره بين أهل الفداء ، هو الشهيد أبو الشهداء : الإمام التقى الوفى : أمير المؤمنين على ، وهوكما قال النووى : أحد العلماء الربانيين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ؛ وأحد السابقين إلى الإسلام .

وهو أيضاً أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبى ، وربيبه وتلميذه ، وصهره على ابنته البتول الطاهرة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - وأم على هى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت هاشمياً . وقد أسلمت وهاجرت وتوفيت فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فصلى عليها ؛ ونزل قبرها.

وكانت أم على قد اختارت له اسم " حيدرة "، والحيدرة هو الأسد، وسماه أبوه " عليا "، وقد كان هذا إلهاما من جانب القدر، فالأسد على، أبى فى رفعته وإنفته ، والعلى أسد شجاع فى قولته ووثبته ، فابن أبى طالب جدير بأن يسمى بحيدرة ؛ وأن يسمى بعلى "

ولقد كان أبو طالب رجلا فقيراً كثير العيال ، فأخذ النبى منه ولده عليا ليكفله ويرعاه ، وكان هذا إسعادا أى إسعاد من الله تبارك وتعالى لعلى ، فقد صار فردا من بيت النبوة، وأصبح قريبا من معدن الرسالة، وأفاد من ذلك الخير الكثير فى دينه وأخلاقه ، ومكانته عند رسول الله ، حتى قال عنه : « على منى ؛ وأنا من على» وقال له : « يا على، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبى بعدى »، وقال له : « أنت أخى وصاحبى فى الدنيا والآخرة » .

ولا عجب فى ذلك ولا غرابة ، فقد كان مولد على داخل الكعبة بيت الله الحرام.

وصانه رب العالمين عن السجود للأصنام، وذاع ذلك عنه فاستحق أن يقال فيه : كرم الله وجهه، وفتح عينيه حينما شب على نور الإسلام ؛ فكان أول الناس إسلاما بعد خديجة رضوان الله تعالى عليها ، وكان ابن عشر سنين حين أسلم ، ونشأ صاحب فروسية ونخوة ، وتجلى ذلك أولا فى الموقف البطولى والفدائى الجليل، حينما فدى بنفسه رسول الله ﷺ ، فنام ليلة الهجرة فى فراشه، والمشركون يطلبون دم الرسول ﷺ ؛ وسيوف شبابهم فى أيديهم ، يحيطون بيت النبوة ليرتكبوا جريمتهم الشنعاء ، ومع ذلك لم يخف على ولم يفزع .

ثم شهد مع الرسول غزوات بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف وثائر المشاهد ، إلا غزوة تبوك فإن النبي ﷺ استخلفه على المدينة.

وكان له فى كل هذه الغزوات آثار مشهودة ، وكان بيده اللواء فى أغلب هذه الغزوات.

وفى موقعه خيبر قال النبى ﷺ: " لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ؛ ويحبه الله ورسوله " وفى الغد تطلع الصحابة الكبار إلى أخذ الراية طمعا فى حب الله ورسوله، فنادى النبى : أين على بن أبى طالب؟.

فقالوا : يا رسول الله هو يشتكى عينيه .

فدعاه إليه ، ومس عينيه بريقه ، ودعا له فبرئ ، وأعطاه الراية فقال: علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ، وقد فتح الله على يديه فتحاً مبينا ، ونصر به الإسلام نصراً عظيماً : ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء : ٧٠)

●●●

وكان بطل الفداء وأبو الشهداء على لا يهاب أحدا فى المنازلة كائنا من كان، ولذلك لم يتردد فى منازلة الطاغية عمرو بن عبد ود : فارس الجزيرة

العربية يومئذ ، والذى كانوا يعدلونه بألف رجل « ففى غزوة الخندق خرج عمرو فى كامل عدته وسلاحه ينادى على جيش الإيمان قائلا : من يبارز ؟ .

فهتف على : أنا له يا نبى الله . فأشفق عليه النبى وقال : يا على ، إنه عمرو ؛ إجلس.

فعاد عمرو يقول للمسلمين هازئا : أين جنتكم التى زعمتم أنكم داخلوها إن قتلتم ؟ أفلا تبرزون إلىَّ رجلا؟ !

فقام على أكثر من مرة وهو يقول : أنا له يا رسول الله،

وجعل الرسول يقول له : إجلس ، إنه عمرو.

قال على متوثبا : وإن كان عمرا يا رسول الله .

وهنا أذن له الرسول، فانطلق على نحو عمرو كالقدر العاجل ، فقال له عمرو فى إنفة مستصغرا له : من أنت ؟ . فأجاب : أنا على بن أبى طالب ، فقال عمرو مستخفاً : يا ابن أخى ، من أعمامك من هو أسن منك . وأنى أكره أن أريق دمك . فقال على : ولكنى والله لا أكره أن أريق دمك.

ثم عرض على عمرو أن يكف عن القتال فأنف وقال: إذن تتحدث العرب بفراري، فقال له : يا عمرو، إنك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين ألا أخذت منه إحداهما. قال : أجل . قال على : فإنى أدعوك إلى الإسلام أو إلى النزال . فقال عمرو : ولم يا ابن أخى، فوالله ما أحب أن أقتلك ، فقال على: ولكننى أحب أن أقتلك ـ ما دمت على إصرارك .

وغضب عمرو وهجم على عليّ بضربة سيف توقاها الفارس الشاب بمهارة، ثم كان النزال، وبعد قليل سدد على إليه ضربة قاتلة، جعلته يسقط وينهض ، ثم يسقط وينهض ، ثم استقر صريعا على الأرض وهتف علي صيحة الجهاد ؛ الله أكبر ، الله أكبر »

●●●

وظل على ﷺ يحيا حياة الشهداء ، وأعد نفسه ليلقى ربه لقاء الشهداء، بعد أن دخل فى الإسلام صبيا مقداما كما يدخل الشهداء ، وجاهد فى سبيل ربه كما يجاهد الشهداء ، وكان يتكلم كما يتكلم الشهداء الذين يؤثرون بما عند الله على ما عند الناس ، فكان يقول : « والله ما أبالى أوقعت على الموت أم وقع الموت على».

ويقول عن سيفه : « والذى فلق الحبة ، لطالما كشفت بسيفى الكرب عن وجه رسول الله ﷺ » .

ولقد قال لأبى ذر حين نفيه إلى بلدة الربدة : « يا أبا ذر ، إنك غضبت لله، فارج من غضبت له . إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك، فاترك فى أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، وما أغناك عما منعوك ، وستعلم من الرابح غدا والأكثر حسدا ، ولو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله ، لجعل له منهما مخرجا ، لا يؤنسنك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لأمنوك » .

ولكن عليا لم يكن مندفعا ولا متهورا ، بل كان حكيما عاقلا ، ولذلك قال لابنه : « لا تدعون إلى مبارزة ، فإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعى إليها باغ ، والباغى مصروع » ، وقال لابنه محمد وقد ولاه قيادة معركة : « يا بنى ، تزول الجبال ولا تزل ، عض على ناجذك ، أعر الله جمجمتك ، مد فى الأرض قدمك ، ارم ببصرك أقصى القوم ثم غض بصرك ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه » [1]

ولما خرج عليه الخوارج قال له بعض أصحابه : إنهم خارجون عليك، فبادرهم قبل أن يبادروك.

فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون.

ومن مظاهر البطولة والحكمة فى حياة الإمام على أنه كان مصلحا اجتماعيا ، إلى جوار بطولته فى الجهاد والنضال ، ولقد كان الإمام أبلغ الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد تجلت شواهد بلاغته ودلائل حكمته فى كتابه المشهور " نهج البلاغة " وفى هذا الكتاب نجد كلمة ناضرة منثورة ، يمكن أن تجمع شتاتها ، ونتعرف إليها فنجدها تدل على مسالك لإصلاح الفرد والجماعة.

فهذا هو الإمام على - أولا - يقول :« الطمع رق مؤبد » ، وهو يقصد بهذا أن الطامع يظل طيلة حياته أسيرا لطمعه ، عبدا لجشعه ، يجمع ولا يقنع، ويأكل ولا يشبع ، وقد يحوز ولا يتمتع ، بل قد يودى بنفسه - عن طريق طمعه - إلى الخسران والبوار والهلاك .

---

(١) انظر كتاب " الفداء فى الإسلام " ففيه تحليل واف لهذه الوصية ص ٢١٦-٢٢٧ .

ولذلك يعود الإمام فيقول :« أكثر مصارع العقول تحت بروق الطمع »، وهذا حق ، فكم من شهوات منحرفة جامحة سيطرت على صاحبها، واستتام لها فجعلته يطمع فيما لا يستحقه، أو فيما يتعذر عليه أن يناله ، فقادته إلى شر المهالك والمعاطب ، بل ربما تجاوز الإنسان حد الاعتدال فى وقت من الأوقات ، فحرمه ذلك أن يتمتع بما كان ينبغى أن يتمتع به، ولذلك قال الإمام على : « كم من أكلة منعت أكلات» ، لأن الإنسان زاد على الطاقة المحتملة المعقولة فى الأكلة الأولى ، فأفسدت عليه أمره فأمرضته، وجعلته غير صالح لأكلات كثيرة بعدها .

وليس معنى هذا أن الإمام عليا كان يكره الغنى واليسار ، أو يحبب فى الفقر والحرمان ، فالواقع أنه كان يبغض الفقر ويشوه منظره فيقول : « الفقر الموت الأكبر» . ويقول : « لو كان الفقر رجلا لقتلته »، ولكنه فى الوقت نفسه يخبر الإنسان بأن حيازة الثروة وحدها ليست هى كل شىء ، فقد يكون هناك ما هو خير منها ، مثل صحة البدن وسلامة القلب ، فيقول : « ألا وأن من البلاء الفاقة (أى الفقر) وأشد من الفاقة مرض البدن ، وأشد من مرض البدن مرض القلب ، ألا وأن من النعم سعة المال ، وأفضل من سعة المال صحة البدن ، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب » ، والحديث الشريف يقول : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

والإمام على يدعو المؤمن إلى أن يشارك غيره وجدانيا وماديا على قدر طاقته؛ وأن يحذر الجشع والاستئثار بالنعمة دون سواه، فإن ذلك ربما كان مآله الحرمان والضياع، وربما تعب الإنسان الجشع فى حفظ ماله اليوم، ثم صار المال إلى سواه غدا على الرغم منه ، ولذلك يقول الإمام على : « يا ابن آدم، ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك » .

ولهذا يدعو إلى التكافل الإسلامى الوثيق بين الأغنياء والفقراء ، لأن القادر مسئول عن تضييع أخيه العاجز ، والقوى محاسب على إهمال الضعيف ، فيقول: « إن الله سبحانه فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلا بما متع به غنى ، والله تعالى سائل الأغنياء عن ذلك » .

ويحث الإمام هؤلاء الأغنياء على قضاء ضرورات العاجزين الفقراء ، حتى يحفظ الله على المالكين القادرين نعمته وفضله ، وإن لم يستجيبوا لذلك نزع

الله بعد قليل ما بأيديهم، وصرفه إلى سواهم، وفى هذا يقول الإمام : « إن لله عباداً يختصهم الله بالنعم لمنافع العباد ، فيقرها فى أيديهم ما بذلوها (أى ما داموا يبذلون منها للمحتاجين) فإذا منعوها نزعها الله منهم ، ثم حولها إلى غيرهم » .

ويلفت الإمام نظر الإنسان وتفكيره إلى أنه ينبغى له أن يحسن التصرف فى ماله، وأن يستخدمه فى الطيبات والأعمال النافعة له ولغيره، وأن يحذر تكديسه بلا استعمال ، حتى لا تفاجئه الأقدار بأحداث الحياة فتطيح بالمال دون انتفاع منه ، أو تفاجئه بالموت فينتقل المال إلى وارث جديد ، فيقول الإمام : « لكل امرئ فى ماله شريكان : الوارث والحوادث » .

ولكن الإمام فى الوقت نفسه يحث الناس على سلوك الطريق القويم المعتدل، من ناحية الضيق أو السعة فى المال ، فيحث من كان قليل المال على أن يتجمل بالرفعة والتماسك والاحتمال ، والبعد عن الذلة والهوان ، ويحث من كان كثير المال على شكر الله بالبذل منه فى وجوه الخير والإسهام به فى مصالح العباد، فيقول : « العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى » .

ويقرب من هذا قوله : « ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله » .

فهو بذلك يعلم الغنى أن يعاون المحتاج ، ولكنه فى الوقت نفسه يعلم الفقير أن يترفع عن المذلة والخضوع للأغنياء ، بل عليه أن يتكل على ربه ، ويعتمد على فضله، ويسعى بجهده فينال ما يحتاج إليه ، ويحتفظ لنفسه بما يصونها من شرف وكرامة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾.

والإمام على حريص على أن يدفع بالمؤمن إلى استخدام ما يملكه فيما يرضى ربه ، بعد أن يناله بطريق يرضى ربه أيضاً ، والا انقلب عليه ماله حسرات ، فيقول الإمام : « إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا فى غير طاعة الله ، فورثه رجل فأنفقه فى طاعة الله سبحانه ، فدخل الجنة ودخل الأول به النار » ، ويقول : « إن أخسر الناس صفقة، وأخيبهم سعيا ،

رجل أخلق بدنه (أى أتعبه) فى طلب ماله ، ولم تساعده المقادير على إرادته فخرج من الدنيا بحسرته. وقدم على الآخرة بتبعته » ! .

وهكذا نرى من هذا القبس الذى قبسناه من حكمة البطل الإمام على أنه الذى ورث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه البصر بدقائق الإيمان واليقين ، وهو قبس يعلمنا كيف نسعى فى الحياة سعى الأقوياء ، ونكسب كسب الشرفاء ، وننفق إنفاق الكرماء ، ونعاون معاونة الأوفياء ، ونعبد الله عبادة الخلصاء ، ونتصرف تصرف الحكماء ، حتى نكون من رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه .

●●●

وهناك ناحية أخرى فى حياة الإمام البطل شهيد رمضان رضوان الله عليه ، تلك هى ناحية الإصلاح الاجتماعى الدال على الخبرة بما يتطلبه المجتمع من ضوابط الصيانة والرعاية ، ولعل نظرة نلقيها على العهد الذى وجهه الإمام على إلى مالك ابن الحارث الأشتر النخعى حين ولاه مصر ، لجباية خراجها ، وجهاد عدوها وإصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ، تكفى للتعرف إلى هذه الناحية الجليلة فى شخصية الإمام .

ها هو ذا يوصى الأشتر مثلا بأن يكون « القاضى » عزيزاً مكفى الحاجة ، صبورا حكيماً ، دقيقا فطنا ، مترفعا عن الشبهة ، بعيداً عن الظنة ، لا تقبل فيه سعاية ولا وشاية ، حتى يتحقق ما نعبر عنه فى عصرنا بقولنا « استقلال القضاء » فيقول الإمام على للأشتر النخعى:

« ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسه ، ممن لاتضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى فى الزلة ، ولا يحصر عن الفىء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم فى الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل ...

... ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له فى البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر فى ذلك نظرا بليغا ، فإن هذا الدين قد كان أسيرا فى أيدى الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا » .

هذا هو استقلال القضاء مع حصانته يقول به رجل عربى من أسلافنا ، لم يدرس فى جامعة ، ولم يقرأ القانون فى " موسوعة " ، ولكنه تخرج في مدرسة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وهى التى أخرجت خير أمة للناس.

●●●

وفى السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة لقى الإمام البطل نعمة الشهادة ، حيث طعنه الشقى عبدالرحمن بن ملجم المرادى ، حينما خرج الإمام إلى صلاة الفجر وهو صائم .

وحينما أحس بالطعنة قال : فزت ورب الكعبة ، وكان عمره على الصحيح ثلاثة وستين عاما ، وفى ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان صعدت روح الإمام إلى بارئها ، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

●●●

فتح الأندلس

فى شهر رمضان المبارك سنة إحدى وتسعين للهجرة بدأ فتح الإسلام بلاد الأندلس (الفردوس الإسلامى المفقود).

ويروى التاريخ أن أول من دخل جزيرة الأندلس من المسلمين لفتحها والجهاد فيها هو " طريف البربرى " التابع للبطل الفاتح موسى بن نصير ، وكان طريف مع سرية مجاهدة قوامها مائة فارس ، وأربعمائة راجل ، وكان دخوله فى شهر رمضان المعظم فى السنة الحادية والتسعين بعد الهجرة النبوية ، وقد نقل هذه السرية فى أربع مراكب من شمال أفريقيا إلى أرض إسبانيا .

واستعان طريف فى غزوته تلك بالكونت يوليان ، الذى كان نائبا للامبراطور البيزنطى فى مدينة سبتة، حيث سهل هذا النائب للمسلمين طريق الوصول لأول مرة في أرض الأندلس حيث كانت هناك أحقاد بين يوليان ولذريق صاحب الأندلس[1] .

وكان موسى بن نصير بطل شمال أفريقية قد استأذن من أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فى أن يوسع دائرة الغزو والفتح في بلاد الأندلس، لتمكين كلمة الإسلام فيها ، وتحرير أهلها من نير الطاغين الطارئين عليها من القوط الغربيين ، فكتب إليه الوليد يقول له : خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها، ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال .

ورد عليه موسى يبين له أنه ليس ببحر زخار ، وإنما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه .

فكتب إليه الوليد يقول إنه لابد من اختبار هذا البحر بالسرايا قبل اقتحامه، فبعث موسى تابعه طريفا كما ذكرنا ،وعاد طريف بعد توفيقه فى غزوته يثنى على البلاد وينوه بها ،فبعث موسى إلى الأندلس بالبطل الفاتح « طارق ابن زياد» ، فتخطى البحر فبلغ جبل طارق المنسوب إليه حتى اليوم ، فى شعبان سنة ثنتين وتسعين للهجرة .

---

١ ويروى أن سبب ذلك أن لذريق اعتدى على عرض ابنة يوليان بعد أن استأمنه عليها.
(المعجب ، ص ٣٣) .

ويروى أن طارق بن زياد حينما وصل اليابسة من بلاد الأندلس ، أحرق السفن التى عبروا البحر فوقها ، لكى يقطع طريق العودة على جنوده، فيجعل كل همهم فى النضال والكفاح ، وخطبهم خطبته الرائعة التى قال فيها : بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وحث المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه :

«أيها الناس ، أين المفر ؟ . البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم »

وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية (يقصد لذريق) فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن ، إن سمحتم لأنفسكم بالموت .

وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسى ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا ، استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظكم فيه بأوفى من حظى .

ثم قال : « وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عريانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولى أنجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين .

واعلموا أننى أول مجيب لما دعوتكم إليه ، وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق ، فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معى ، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا

بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون» [1]

وهنا انشرحت صدور هؤلاء الجنود ، وهبت رياح النصر عليهم ، وأحسنوا الظن بربهم كأنهم يرون بأعينهم ما سيهيئه لهم من نجاح وفلاح ، وقالوا لقائدهم طارق : قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه ، فاحضر إلى الطاغية لذريق فإننا معك وبين يديك .

ثم وقعت المعركة الحاسمة بين قوة المسلمين وجيوش ملك القوط المسيطرين على بلاد الأندلس يوم ٢٨ رمضان من السنة الثانية والتسعين للهجرة (١٩ يوليو سنة ٧١١ م)[2] ، وانتهت باندحار القوط وانتصار المسلمين .

ويروى التاريخ أن طارق بن زياد حينما رأى لذريق قال : هذا طاغية القوم ، وأقبل طارق عليه حتى خلص إليه وضربه بالسيف على رأسه ، فقتله وهو على سريره ، فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان ، وكان النصر للمسلمين ، ولم تقف هزيمة العدو عند موضع، بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ، وجاء موسى بن نصير بعد طارق فتوسع في الفتح وأوغل في البلاد وكان دخول موسى الأندلس لتتويج النصر وتوسيع الفتح فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين (يونيو ٧١٢ م) .

وهكذا يضاف إلى رصيد رمضان العظيم المبارك من الذكريات الخالدة الماجدة . حصيلة جديدة :

فى شهر رمضان سنة إحدى وتسعين للهجرة بدأ فتح الإسلام للأندلس بسرية طريف البربرى .

وفى شهر رمضان سنة اثنين وتسعين للهجرة كانت حملة طارق بن زياد لتحقيق الفتح.

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين للهجرة كانت حملة موسى بن نصير لتوسيع الفتح .

وكأن رمضان قد كان على ميعاد مع مفاخر الإسلام فى الأندلس : ذلك الفردوس المفقود .

●●●

(١) هناك من يشكك فى هذه الخطبة ، وتراجع تفاصيل ذلك والرد عليه فى كتاب " ملامح أدبية " ص ١٧٤ وما بعدها .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٥ ص ٣٣ .

وفـــاة أم المؤمنـين عائـــشة

فى ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان المعظم، سنة ثمانى وخمسين من هجرة الرسول ﷺ ،لقيت ربها الصديقة بنت الصديق،أم المؤمنين،أم عبدالله: السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما - ، وأمها هى أم رومان بنت عمير ، التى أسلمت وهاجرت واحتملت ، وقال فيها الرسول : «من سره أن ينظر إلى إمرأة من الحور العين فلينظر الى أم رومان » !.

والسيدة عائشة هى كريمة أبى بكر صاحب الفضل الكبير فى خدمة الإسلام ، وصاحب الجهد الكبير فى خدمة رسول الإسلام والدفاع عنه ، وهى زوجة الرسول ، والبكر الوحيدة التى تزوجها ، وأحب زوجاته إليه بعد خديجة، وهى التى لم ينزل الوحى على الرسول ﷺ فى لحاف زوجة له سواها ، وهى المبرأة من فوق سبع سماوات فى قرآن يتلى إلى آخر الدهر ، وهى أخت البطلة الخالدة الماجدة ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر.

وهى التى قال فيها الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه : « فضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطعام» ، وأبلغها النبى أن جبريل يقرئها السلام، كما أخبرها بأنها زوجة النبى فى الدنيا والآخرة.

ولقد سأل عمرو بن العاص رسول الله قائلا : من أحب الناس إليك يا رسول الله ؟ .

فأجابه النبى قائلا : عائشة .

فعاد عمرو يقول : إنما أريد من الرجال ..

فعاد النبى يجيب بقوله : أبوها !.

وحدثت عائشة عن نفسها - فيما يرويه ابن سعد فى الطبقات فقالت : فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر .. قيل : وما هن يا أم المؤمنين ؟ فقالت : لم ينكح بكرا غيرى ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيرى ، وأنزل الله عز وجل براءتى من السماء ، وجاءه جبريل بصورة من السماء فى حريرة ، وقال : تزوجها فإنها امرأتك ، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيرى ، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه ، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيرى ، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى ، ولم يكن ينزل

عليه وهو مع أحد من نسائه غيرى ، وقبض الله نفسه وهو بين سحرى ونحرى ، ومات فى الليلة التى كان يدور علىَّ فيها ، ودفن فى بيتى ! .

وكانت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ تفضل رضا الله ورضا رسوله على متاع الحياة وزخرف الدنيا ، ويروى فى ذلك أن النبى ﷺ دخل عليها يوما وقال لها : إنى سأعرض عليك أمراً فلا عليك أن لا تعجلى به حتى تشاورى أبويك..

فقالت : وما هذا الأمر ؟ .

فتلا عليها النبى ﷺ قول ربه تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا . وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

فأجابت السيدة عائشة : فى أى ذلك تأمرنى أن أشاور أبواى ؟ . بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

فسر النبي ﷺ بذلك وأعجبه[1]

ولقد جاء فى كتاب ، الصديقة بنت الصديق ، للعقاد أن السيدة عائشة كانت تشارك والدها أبا بكر الصديق فى أكثر من صفة من صفات الخير والبر والمجد ، فيقول :

« وقد كانت بنت أبيها فى أكثر من خصلة واحدة من هذه الخصال النادرة بين الرجال والنساء ، ولكنها كانت أشبه ما تكون به فى خصلة الصدق التى اشتهر بها ، ومن أجلها نعت بالصديق ، وغلب هذا النعت عليها حتى أوشك أن ينسى الناس اسمه الذى دعاه به أبواه ».

وقد امتحن صدقها فى مآزق عسيرة البلاء للنفوس ، فتمحصت عن معدن كريم وعرق سليم ودلت على أصالة هذا الميراث النفيس من أبيها العظيم ، ففى الفاشية التى أطبقت على العالم الإسلامى من جراء الخلاف على الخلافة تطايرت الأحاديث الموضوعة من هنا وهناك ، وتعمد أناس أن يصوغوا من عندهم حديثا لكل حزب ينصره ويرضيه ، ويكبت خصمه ويخزيه بنواقص الوضاع فى محاكاة الأحاديث النبوية ، ذلك الافتتان الذى شقى به المحققون بروايات بعد ذلك بسنين .

وكانت السيدة عائشة تشترك فى خصومات المتخاصمين على الخلافة باختيارها أو تساق إلى المشاركة فيها على كره منها ، وكانت هى أولى من

---

[1] انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٨ ص٤٧. وتهذيب الأسماء للنووي جـ٢ ص٣٥١.

يسمع له إذا روت حديثا يدمغ خصومها ويعزز أنصارها ، ولكنها لم تنقل قط فى كل ما ثبتت نسبته إليها حديثا واحدا تمسه الشبهات من قريب أو بعيد ، ولا تؤيده الأسانيد الأخرى ، ولم تحرف كلمة واحدة إلى غير موقعها طواعية لإغراء تلك النوازع النفسية التى تطيش بالألسنة أو تضلل العقول ، وهو امتحان ليس أعسر منه امتحان فى هذا الباب ، ولهذا كانوا يروون عنها الأحاديث فيقولون : « حدثتنا الصديقة بنت الصديق » .

ومن الصفات التى شابهت فيها أباها الذكاء المتوقد والبديهة الواعية . ولم تقصر فيه عن شأوة ، بل لا تحسبها قصرت عن شأو واحد من معاصريها بين الرجال والنساء على السواء ، فى سرعة الفهم وقدرة التحصيل والإحاطة بكل ما يقع فى متناول ذهنها ، قال أبو الزناد ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة بن الزبير ، فقيل له: ما أرواك (أى ما أكثر روايتك للشعر) . فقال : وما روايتى فى رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرا .

وقد كان عروة بن الزبير أشد الناس حبا لخالته السيدة عائشة، وإعظاما لها وتوقيرا لسيرتها ، ولكن الذي روى عنها من الشواهد الشعرية فى أخبارها التى نقلت إلينا يدل على صدق ما وصفها به من غزارة الحفظ وحسن الاستشهاد ،.

وإذا تذكرنا أن السيدة عائشة روت عن النبى ألفين ومائتين وعشرة أحاديث فى مختلف الموضوعات والأحكام أدركنا الزاد العلمى الفقهى الضخم الذي وعته .وفهمته وتثقفت به ، وحق لأبى موسى الأشعرى أن يقول : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علما فيه. ولعطاء بن أبى رباح أن يقول : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة ، وكانوا يستفتونها ويسألونها فى الفرائض .

وبعد ستة وستين عاما قضتها الصديقة بنت الصديق فى هذه الحياة، لبت نداء ربها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين للهجرة ، ودفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر، فى مقبرة البقيع ، كما أوصت بذلك ، واجتمع على جنازتها أهل المدينة ، وأهل العوالى ، فقالوا لم نر ليلة أكثر ناسا منها ، وصلى عليها أبو هريرة . رضوان الله تبارك وتعالى عليها .

●●●

معركة الزلاقة في رمضان

في أول جمعة من شهر رمضان المبارك ، سنة تسع وسبعين وأربعمائة للهجرة كانت وقعة (الزلاقة) ، والزلاقة أرض بالأندلس (الفردوس الإسلامى المفقود) قرب مدينة قرطبة ، كانت عندها الموقعة المشهورة باسمها بين مسلمى الأندلس والافرنج ، وقيل فى تفسير الزلاقة أنها بطحاء الزلاقة ، من إقليم بطليوس من غرب الأندلس .

وفى هذه الموقعة كانت الهزيمة المنكرة لأعداء المسلمين ، ونصر الله تعالى الإسلام وأهله نصراً لا نظير له ، وصار يضرب بموقعة الزلاقة المثل .

وسببها أن ملك الافرنج الذي يسمى " الإذفونش " وهو الفونس السادس ملك قشتالة ، تطاول على المعتمد بن عباد سلطان المسلمين فى الأندلس ، وهدده بأنه سينتزع مدينة " قرطبة " من أيدى المسلمين .

وجهز الإذفونش لذلك جيشين سيرهما لمحاربة المسلمين بقيادة اثنين من رجاله، ثم سار هو على رأس جيش ثالث لمهاجمة المعتمد[1]، وأرسل رسالة ساخرة إلى المعتمد يقول له فيها : « كثر - بطول مقامى - فى مجلسى الذباب، واشتد على الحر، فأتحفنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسى، وأطرد بها الذباب عن وجهى » .

ومع أن المعتمد كان أقل من ملك الأفرنج عدة وعددا ، فقد تناول رسالته، وكتب على ظهرها ما يلى : « قرأت كتابك ، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك فى مراوح من الجلود اللمطية ، تروح منك ، لا تروح عليك ، إن شاء الله تعالى » فأخذته الدهشة حين جاءه هذا الرد .

---

(١) يقول المراكشي: وكان الإذفونش لعنه الله قد استنفر الصغير والكبير، لم يدع من أقاصي مملكته من يقدر على النهوض إلا استنهضه (المعجب ص ١٩٣).

وقرر المعتمد أن يستعين بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين سلطان المغرب ، وأرسل إليه فى ذلك ، فقال يوسف : « أنا أول منتدب (أى مستجيب) لنصرة هذا الدين » .

وجاء بعض رجال المعتمد يخوفونه من استعانته بابن تاشفين ، فقالوا له إن ذلك سيجعله يتطلع إلى ملك الأندلس ، فينتزعه منك ، ولما ألحوا فى ذلك، وبدأوا وأعادوا فى قولهم : « الملك عقيم ، والسيفان لا يجتمعان فى غمد واحد » أجابهم بكلمته المشهورة : « رعى الجمال خير من رعى الخنازير » ، وهو يقصد أنه إذا أصبح مأكولا ليوسف بن تاشفين السلطان الملك ، وصار أسيرا عنده يرعى له الجمال فى الصحراء ، فذلك خير من أن يكون مأكولا لملك الأفرنج، ويصير عنده أسيرا يرعى له الخنازير فى قشتالة ! .

ولما زاد إلحاحهم عليه فى المراجعة والنقد قال لهم : " يا قوم، إنى من أمرى على حالتين : حالة يقين وحالة شك ، ولابد لى من إحداهما ، أما حالة الشك فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين ، أو إلى الإذفونش ، ففى الممكن أن يفى لى ، ويبقى على وفائه ، ويمكن ألا يفعل ، فهذه حالة شك .

وأما حالة اليقين فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين ، فأنا أرضى الله ، وإن استندت إلى الإذفونش أسخطت الله تعالى ، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة، فلأى شىء أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه " ؟ . فأسكتهم بهذا الجواب .

وسارع ابن تاشفين بالاستجابة ، وعبر البحر بجيشه إلى الأندلس، ليشارك فى رد العدوان عن المسلمين ، ولما علم ملك الأفرنج الإذفونش بمسيرة ابن تاشفين كتب إليه يهدده ويتوعده ، فكتب ابن تاشفين الرد على ظهر الرسالة ، ولم يزد الرد على قوله : " الذي يكون ستراه " فارتاع الإذفونش من هذا الرد .

●●●

وتلاقى المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين ، وتعانقا ، وتعاهدا على التعاون، وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والمحبة ، وشكرا نعم الله تعالى، وتواصيا بالصبر والرحمة ، وبشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر ، وتضرعا إلى الله تعالى فى أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا إليه .

وأهدى المعتمد إلى ابن تاشفين جملة هدايا فاخرة ، وعند تباشير الصباح صلوا الصبح ، ثم اتفقوا على التقدم نحو أشبيلية ، وشارك ملوك الطوائف بالأندلس فى إمداد الحملة، لأن ملك الإفرنج استوعب الناس فى جيشه، وبذل كل ما يستطيعه فى توسيعه وتضخيمه .

ويروى التاريخ أن الإذفونش أراد أن يخادع المعتمد وابن تاشفين ، فأرسل إلى الأول يقول له فى يوم خميس : « غدا يوم الجمعة وهو عيدكم . والأحد عيدنا ، فليكن لقاؤنا (للحرب) بينهما ، وهو يوم السبت » .

فأدرك المعتمد أنها حيلة وخديعة ، وفهم أن الإذفونش يحاول بذلك أن يسكن المسلمون إلى الأمان يوم الجمعة ، فلا يأخذوا عدتهم وأهبتهم فيه، بناء على تلك المخادعة ، ثم يهجم عليهم الإذفونش ورجاله فى يوم الجمعة نفسه ، ليصيبوا من المسلمين غرة.

والقرآن الكريم قد قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وقال : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ .

وذهب المعتمد إلى ابن تاشفين وأعلمه بحيلة الإذفونش ، ودعا المعتمد إلى أن يكون الناس على أتم الاستعداد يوم الجمعة ، واستجابوا لذلك ، وباتوا ليلتهم على أهبة واحتراس ، وبعد مضى جزء من الليل انتبه من النوم الفقيه الناسك أبوالعباس أحمد بن رميلة القرطبى فرحا مسرورا ، وكان فى محلة المعتمد ، وذكر الفقيه أنه رأى النبى ﷺ تلك الليلة فى النوم ، فبشره النبى بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة ففهم الفقيه الناسك أن الأعداء سيهجمون يوم الجمعة، فتأهب ودعا وتضرع ، ودهن رأسه وتطيب ، وكأنه يستعد للقاء الله تبارك وتعالى .

وبلغ الخبر مسمع المعتمد بسرعة ، فأعلم به يوسف بن تاشفين .

وفى أثناء ليلة الجمعة جاء فارسان من فرسان الاستطلاع فى جيش المعتمد، وأخبراه بأن هناك تحركات غير عادية فى جيش الإذفونش ، وجاء غيرهما كثير يؤكدون ذلك ، ثم جاء بعض المتسللين من المسلمين وأبلغوا المعتمد أنهم سمعوا الإذفونش يقول لجنوده: « إن ابن عبادة مسعر هذه الحروب . وهؤلاء الصحراويون ، وإن كانوا أهل حفاظ ، وذوى بصائر فى الحروب ، فهم غير

عارفين بهذه البلاد ، وإنما قادهم ابن عباد ، فاقصدوه واهجموا عليه ، واصبروا ، فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة » .

وأقبلت الخديعة بشراستها ، فانقض جيش الفرنجة على المسلمين فجأة ، وهاجت الحرب ، وحمى الوطيس ، واشتد القتال ، وصعب الأمر على المسلمين أول الأمر ، وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لأحد ، كما يقول المقرى المؤرخ، وتقهقر بعض جنود المعتمد وفيهم ابنه عبد الله، وأثخن المعتمد بالجراح ، ونالته ضربة على رأسه فلقت هامته من جانبها ، حتى بلغت صدغه، وجرحت يده اليمنى وطعن فى أحد جانبيه . وهلك تحته ثلاثة أفراس، كلما هلك جواد قدموا له غيره وهو يقابل حياض الموت، ويضرب يمينا وشمالا .

وأبطأ ابن تاشفين فى اشتراكه بجنوده فى المعركة ، ولعله استبعد أن يجرؤ الإذفونش على هذه الغدرة ،ولكن طلائع جنوده ظهرت فى أرض المعركة ، وعلى رأسها أحد قواده وهو " داود بن عائشة " وكان بطلا شهما شجاعا ، ثم أقبل ابن تاشفين وطبوله تصعد أصواتها إلى الجو ، يقول التاريخ[1]: فلما أبصره الإذفونش وجه حملته إليه ، وقصده بمعظم جنوده ، فبادر إليهم السلطان يوسف، وصدمهم بجمعه، فردهم إلى مركزهم ، وانتظم به شمل ابن عباد ، واستنشق ريح الظفر، وتباشر بالنصر .

وعند وقت الزوال هبت رياح النصر ـ كما يعبر التاريخ ـ فأنزل الله سكينته على المسلمين ، ونصر دينه القويم ، وصدق المسلمون الحملة على ملك الأعداء وأصحابه ، فأخرجوهم عن محلتهم ، فولوا ظهورهم ، وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم ، والرماح تطعنهم ، إلى أن أدركوا ربوة لجأوا إليها واعتصموا بها ، ولما أظلم الليل أطلقوا سيقانهم للرياح منهزمين هاربين ، واستولى المسلمون على ما كان فى محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والأوانى وغير ذلك.

وهزم الله العدو ، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم فى كل وجه ، ونجا الأذفونش ـ لعنه الله ـ فى تسعة من أصحابه، فكان هذا أحد الفتوح المشهورة بالأندلس،

---

[1] نفح الطيب للمقرى.

أعز الله فيه دينه، وأعلى كلمته ، وقطع طمع الإذفونش ـ لعنه الله ـ عن الجزيرة ، بعد أن كان يقدر أنها فى ملكه ، وأن رءوسها خدم له ، وذلك كله بحسن نية أمير المسلمين .

وتسمى هذه الواقعة عندهم واقعة الزلاقة ، وكان لقاء المسلمين عدوهم ـ كما ذكرنا ـ فى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان الكائن فى سنة ٤٨٠.

ورجع يوسف بن تاشفين وأصحابه عن ذلك المشهد منصورين ، مفتوحا لهم وبهم ، فسر بهم أهل الأندلس ، وأظهروا التيمن بأمير المسلمين والتبرك به ، وكثر الدعاء له فى المساجد وعلى المنابر ، وانتشر له من الثناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعا فيها ، وذلك أن الأندلس كانت قبله بصدد التلف ، من استيلاء النصارى عليها ، وأخذهم الإتاوة من ملوكها قاطبة ، فلما قهر الله العدو وهزمه ، على يد أمير المسلمين ، أظهر الناس إعظامه ، ونشأ له الود فى الصدور .

وهكذا شهد شهر رمضان المبارك من سنة تسع وسبعين وأربعمائة نصرا مبينا وفتحا عظيما ، عزت به دولة الإسلام ، وعلت به كلمة المسلمين ، وزادت به ذكريات رمضان فى تاريخ الإسلام ثراء.وسناء.

●●●

الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك

فى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة للهجرة ، لقى ربه الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك ، فما حديث ذلك الإمام ؟ .

إنه أحد تابعى التابعين الفضلاء ؛ أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى ؛ ويذكر عنه الإمام النووى أنه " المجمع على إمامته وجلالته فى كل شىء " ويصفه أبو نعيم فى كتابه " حلية الأولياء " بأنه " أليف القرآن والحج والجهاد "

وقد ولد ابن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة ، ونشأ نشأة إسلامية مباركة ، وتربى تربية محمدية سامية ، وسارت له شهرة عمت الآفاق وشملت جوانب العالم الإسلامى ، بأقواله وأعماله ، وخصاله ونضاله ، فقد كان ذكيا ، وزاهدا نقيا ؛ وشجاعا أبيا ، وكريما سخيا .

ورحل فى طلب العلم إلى بلاد كثيرة فى آسيا وأفريقيا ، وقيد كل ما سمعه ، ولما قيل له : لماذا تكتب كل ما تسمع ؟ . أجاب : لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد .

وكان العلماء بعد ذلك إذا اختلفوا فى حديث من الأحاديث النبوية قال بعضهم لبعض : مروا بنا على هذا الطبيب حتى نسأله (يعنون عبدالله بن المبارك).

واجتمعت طائفة من أصحاب ابن المبارك فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير .

فقالوا : جمع العلم والفقه والأدب ، واللغة والشعر والفصاحة والنحو ، والزهد والورع والإنصاف ، وقيام الليل والعبادة ، والشدة فى رأيه ، وقلة الكلام فيما لا يعنيه ؛ وقلة الخلاف على أصحابه .

ولقد ورث ابن المبارك مهنة التجارة من بعض أساتذته ، وكانت تجارته واسعة رابحة ، قيل إنه كان يتاجر فى رأس مال قدره أربعمائة ألف ، يطوف بها فى البلاد ، ويبلغ كسبه منها سنويا مائة ألف .

ولم تشغله التجارة عن الفقه والعبادة ، ولم يتعلل بالعبادة أو طلب العلم لتعطيل الكسب والسعى . بل كان يرى أن التجارة الطاهرة المثمرة هى جزء من العبادة ، ولذلك قيل له : أنت تأمرنا بالزهد ، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ؛ فكيف هذا ؟ .

فقال : إنما أفعل هذا لأصون به وجهى ، وأكرم به عرضى ، وأستعين به على طاعة ربى ، لا أرى حقا إلا سارعت إليه .

وهكذا كان ابن المبارك يجمع فى رحلاته بين الفائدة الدينية والروحية عن طريق الدراسة والتأمل وطلب المزيد من العلم ، والفائدة المادية عن طريق التجارة والاكتساب ، حتى صار فى العلم إماما يرجع إليه الناس ، ويستفتيه العلماء ، وصار فى حرفة الحياة علما يشار إليه بالبنان ؛ ثم صار بعد هذا وذاك مجاهد صاحب بطولة فى الميدان .

وكان يجاهد بعلمه وماله وسلاحه ، وشارك فى جملة غزوات ، وكان أروع ما فيه من ناحية الجهاد أنه أراد بقتاله ونضاله وجه الله لا مراءاة الناس ، ولذلك كان يتخفى أحيانا ويتلثم وهو يقاتل ، حتى لا يعرفه الناس ، ويظل عمله خالصا لربه ، ليثيبه عليه أعظم الثواب .

ويروى تاريخه المجيد أنه حينما خرج إلى الجهاد والمرابطة لأول مرة فى بلاد الشام ، ورأى ما يقوم به المجاهدون من بطولة ؛ التفت إلى صاحب له ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا حسرة على أعمار أفنيناها ، وليال قطعناها فى علم الشعر ، وتركنا هنا أبواب الجنة مفتحة .

ولعل هذا الموقف كان من الأسباب التى دعت ابن المبارك إلى تأليف كتاب فى فضل الجهاد والحث عليه ، وهذا الكتاب يعد أول الكتب فى موضوعه .

ولقد قال ابن المبارك شعرا كثيرا فى الدعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق ، ومن شعره قوله فى الدعوة إلى حفظ اللسان من كثرة الكلام بلا موجب :

تعاهد لسانك ، إن اللسان ... سريع إلى المرء فى قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

ويقول فى تصحيح الحب لله تعالى :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع !

ويروى أن عبد الله بن المبارك كان فى الميدان يجاهد ؛ وعلم أن صديقه الزاهد الفضيل بن عياض يقيم متعبدا بجوار الحرم ، ولا يشارك فى الجهاد ،فتألم ابن المبارك ، وكتب إلى الفضيل رسالة يدعوه فيها إلى ترك العبادة فى جوار الحرم ، والإقبال على الجهاد ، ويقول له فيها :

يا عابد الحرمين ، لو أبصرتنا ... لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل ... فخيولنا يوم الصبيحه[1] تتعب
ريح العبير لكم ، ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب[2]
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لايكذب !
لا يستوي أغبار خيل الله في ... أنف امرئ؛ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا : ... ليس الشهيد بميت، لا يكذب!

فلما قرأ الفضيل الرسالة وهو المسجد الحرام بكى وقال : صدق أبوعبدالرحمن ونصح.

ومضت الأيام والأعوام بعد ذلك ، ومات ابن المبارك قبل الفضيل ، ورآه الفضيل فى النوم ، فسأله : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ .

فأجابه ابن المبارك قائلا :

الأمر الذي كنت فيه (وهو الجهاد والرباط) .

فقال الفضيل : وأى شىء صنع الله بك ؟ .

فأجاب ابن المباوك : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة ! .

●●●

وظل ابن المبارك مجاهدا متّاضلا ؛ يهدى إلى سبيل ربه تبارك وتعالى بالقول والعمل ، والقدوة والسلوك ، فوق سعة العلم وعمق الفهم ، وفى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة (٧٩٧ م) انصرف من إحدى المعارك التى شارك فيها فى بلاد الروم ، فأدركه الموت فى بلدة " هيت "، وهى مدينة معروفة على شاطئ الفرات فوق الأنبار ، فى بلاد العراق.

---

[1] يوم المعركة.

[2] الرهج: الغبار، والسناك: أطراف حوافر الخيل.

وكان له من العمر ثلاث وستون سنة .

وشاء ربك للزاهد المجاهد ، الذي رام الشهادة فى سبيل الله مرات ؛ أن يلقى الموت هادئا ، دون أن يحرمه ربه ثواب المجاهدين الأبرار ، وكأنه فى هذا يذكرنا بكلمة سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، وهو على فراش موته ، حيث يقول :

«لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء!».

●●●

ولقد كان ابن المبارك بليغ العبارة عميق العظة .

قيل له مثلا ما التواضع ؟ .

فأجاب : التكبر على الأغنياء .

ومن كلامه : المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات ! .

ووقف ذات يوم بين مقبرة ومزبلة ، فقيل له : ما وقفك ؟ .

فأجاب : أنا بين كنزين من كنوز الدنيا فيهما عبرة ، هذا كنز الرجال وأشار إلى المقبرة ، وهذا كنز الأموال (وأشار إلى المزبلة) .

وقيل لابن المبارك : من الناس ؟ . فقال : العلماء . قيل : فمن الملوك ؟ .

قال : الزهاد . قيل : فمن السفلة ؟ . قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين .

وقال ابن المبارك :عجبت لمن لم يطلب العلم ، كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة !؟ .

سلام على زاهد الفقهاء ، ومجاهد العلماء : عبد الله بن المبارك .

●●●

معركة عين جالوت

فى اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم ؛ سنة ٦٥٨[1] كانت معركة " عين جالوت " التى انتصر فيها المسلمون انتصار عظيما على " التتار " المخربين المدمرين ، الذين اجتاحوا بلاد الإسلام ، وفعلوا من المآثم والمظالم ما تقشعر منه الأبدان ، و " عين جالوت " بلدة من أعمال فلسطين المغتصبة ـ ردها على العرب والمسلمين ـ وهى بلدة بين بيسان ونابلس .

وبطل هذه المعركة الجليلة هو السلطان المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزى ، الذي تولى الحكم فى مصر يوم السبت ١٧ من ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة ، وذلك حين جاءت الأخبار المؤلمة من جهة الشام بتحرك التتار إليها ، بعد أن قطعوا نهر الفرات ، وهجموا بغارات شديدة على حلب وما حولها .

وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف قد أرسل إلى "قطز" يطلب منه النجدة والمعاونة على حرب التتار.

وكان رسول صلاح الدين فى هذه المهمة أحد العلماء الفقهاء الكبار وهو الشيخ كمال الدين عمر بن العديم ، فسارع قطز بجمع القضاة والفقهاء وكبار القوم ، لمشاورتهم فى خطة المعركة ، وفى تهيئة ما يلزمها من مال وعتاد وسلاح، ومدى ما يسهم به الناس فى هذا المجال ، وكان بين الحاضرين الشيخ الفقيه المجاهد : عز الدين بن عبد السلام ، فقال فى ذلك الاجتماع ما خلاصته موجها الكلام إلى السلطان :

« إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم ، بشرط أن لا يبقى فى بيت المال شىء ، وتبيعوا مالكم من الحوائص (أحزمة) المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ، ويتساووا هم والعامة ، وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا »[2]

---

[1] وقيل في اليوم الخامس عشر من رمضان سنة ٦٥٩.

[2] النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص٧٢.

ومضى حين من الزمان استعد فيه قطز للمعركة ، وكان بغى التتار قد امتد وزاد حتى احتلوا بلدة " الخليل " وبلدة " غزة " من أرض فلسطين، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والصبيان، واستاقوا من الأسرى عددا كبيرا .

وصمم الملك المظفر ـ رحمه الله ـ على لقاء التتار ، وخرج من مصر فى الجحافل الشامية والمصرية فى شهر رمضان " .

وأمر السلطان الولاة بالتخفف والتقشف فى شهر المعركة ، وهو شهر رمضان ، وأمرهم ألا يقيموا موائد إفطار ، بل كل واحد يفطر على قطعة لحم فحسب .

ورحل السلطان قطز بعساكره ونزل الغور بعين جالوت فى فلسطين ، وكانت جموع التتار هناك ، وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان قامت معركة عنيفة بين الفريقين ؛ وتقاتلوا قتالا شديدا لم ير الناس مثله ، واشتد الأمر فى بدء المعركة على المسلمين، فاقتحم قطز ميدان المعركة ، وباشر القتال بنفسه ، وأبلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا.

وحاول أمير العساكر التتارية أن يقلد السلطان المظفر فى قتاله بنفسه ، أخزى الله هذا التترى الباغى ، لقى مصرعه على يد جمال الدين الشمسى رحمه الله تعالى ، وانهزم التتار لا يلوون على شىء ، واعتصم بقية منهم فى التل المجاور لمكان المعركة ، فأحدقت بهم كتائب المجاهدين ، وصابروهم على القتال حتى قضوا عليهم .

ولقد جاء فى كتاب " الدين والميثاق " أن وباء التتار اجتاح أجزاء الدولة العباسية ، وجعلها قاعا صفصفا من التخريب والتدمير ؛ واحتلوا بقيادة زعيمهم (هولاكو) بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، وأزهقوا روح الخلافة العباسية، ثم احتلوا الشام ، وقاربوا حدود مصر .

وأرسل هولاكو إلى السلطان قطز كتابا يتهدد فيه ويتوعد ، ويطلب منه المبادرة إلى التسليم والمسارعة بالخضوع ، وهنا ثار الملك المظفر ، وأبى له دينه وإيمانه وحريته أن يقبل ذلك التهديد ؛ وأعلن السلطان الجهاد ، وقاد الجيش بنفسه ،ومعه الأمير " بيبرس " .

وهذا هو المقريزى المؤرخ المشهور يقول عن المعركة العصيبة :

فلما كان يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان التقى الجمعان ، وفى قلوب المصريين هم عظيم من التتار ، وذلك بعد طلوع الشمس ، وقد امتلأ الوادى ،

وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء، فتحيز التتار إلى الجبل..

وعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح السلطان ، وانتقض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته على الأرض، وصرخ بأعلى صوته: وإسلاماه! وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة، فأيده الله بنصره، وقتل (كتيفا) مقدم التتار، وانهزم باقيهم ، وأبلى الأمير بيبرس أيضاً بلاء حسنا بين يدى السلطان ، ومر العسكر فى أثر التتار إلى قرب بيسان ، فرجع التتار ؛ وصافوا مصافا ثانيا أعظم من الأول[1]، فهزمهم الله ، وقتل أكابرهم وعدة منهم.

وكان قد زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، فصرخ السلطان صرخة عظيمة، سمعها معظم العسكر وهو يقول : " وإسلاماه " ثلاث مرات، ثم هتف : « يا الله انصر عبدك قطز على التتار » .

فلما انكسر التتار الكسرة الثانية ؛ نزل السلطان عن فرسه ، ومرغ وجهه على الأرض وقبلها ، وصلى ركعتين شكراً لله تعالى ، ثم ركب فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم "[2].

ومضى قطز إلى دمشق فدخلها فاتحا منتصرا، واستقبله أهلها خير استقبال، وأعاد فيها إلى الإسلام عزته ، وقضى على بعض الخونة ، ورتب أمور البلاد ، ومع أن السلطان المظفر كان شجاعا مقداما ، وقائداً حكيما ، وبطلا فاتحا ، وحاكما مدبرا كان يفخر بنعمة الإسلام كل الفخر، ويقول : ما أنا إلا مسلم ابن مسلم ! .

كان بطلا شجاعا مقداما، حازما حسن التدبير ، يرجع إلى دين وإسلام وخير ، وله اليد البيضاء فى جهاد التتار، فعوض الله شبابه بالجنة ، ورضى عنه.

وكان قبره مقصودا من الناس للزيارة والتراحم دائما ، وكان استشهاده يوم السبت السادس عشر من شهر ذى القعدة سنة ثماني وخمسين وستمائة ؛ رحمه الله تعالى ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا .

وهكذا شهد رمضان المبارك فى سنة ٦٥٨ معركة فتح ونصر كبرى ، هى معركة " عين جالوت " فى أرض فلسطين ، ردها الله على العرب والمسلمين .

---

(١) أي جمعوا جموعاً أكبر ونظموها.

(٢) كتاب "الدين والميثاق" ص٢١.

وحدث أيضاً في رمضان

في بداية الباب استعرضنا بعض الأحداث المهمة التي حدثت في شهر رمضان المبارك ثم استعرضنا بالشرح الموجز بعضها والآن سنسرد بعض الأحداث الأخرى المهمة لنختتم بها بابنا آملين أن نسردها في مجال آخر يتسع لها في القريب العاجل بإذن الله.

١- فى رمضان ؛ بعد هجرة النبى ﷺ بسبعة أشهر ، كانت سرية سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر للجهاد فى سبيل الله .

٢- فى شهر رمضان ، من السنة الثانية للهجرة فرضت زكاة الفطر قبل عيد الفطر بيومين .

٣- فى شهر رمضان ، من السنة الرابعة للهجرة ، تزوج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث ، التى كانت تلقب " أم المساكين " رضى الله عنها.

٤- فى شهر رمضان ، من السنة السادسة للهجرة ، أصيب الناس بقحط فاستسقى لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فسقاهم الله تبارك وتعالى.

٥- فى الخامس والعشرين من رمضان ؛ من السنة الثامنة للهجرة ، قام سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه بهدم صنم العزى ، بتوجيه من الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

٦- فى شهر رمضان ، من السنة التاسعة للهجرة ، قدم رسول الله ﷺ من غزوة " تبوك " بعد أن أيده الله فيها تأييدا كبيرا.

٧- فى شهر رمضان ، من السنة التاسعة للهجرة ، جاء وفد ثقيف إلى الرسول ﷺ ؛ وأعلنوا دخولهم فى الإسلام .

٨- فى شهر رمضان ، من السنة الأربعين ، تولى الخلافة الحسن بن على رضوان الله عليهما ، بعد استشهاد أبيه فى اليوم السابع عشر من الشهر نفسه .

٩- فى شهر رمضان ، من السنة الثامنة بعد المائتين للهجرة ، توفيت السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رضوان الله عليهم ، وهى صاحبة المشهد المعروف بالقاهرة .

١٠- فى شهر رمضان ، من السنة السادسة عشرة بعد الثلاثمائة توفى الزاهد العابد ، شيخ مصر : أبو الحسن بنان الحمال الواسطى ، الذي كانوا يضربون بعبادته المثل .

١١- فى يوم الاثنين الحادى عشر من شهر رمضان ، سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، ولد المعز لدين الله الفاطمى الذي تنسب إليه القاهرة المعزية .

١٢- فى نصف شهر رمضان ، سنة ثماني وخمسين وثلاثمائة ، دخل جوهر الصقلى مصر ، وهو قائد المعز لدين الله ، وصعد يوم الجمعة وخطب الناس .

١٣- فى شهر رمضان ، سنة إحدى وستين وثلاثمائة انتهى جوهر الصقلى من بناء الجامع الأزهر الشريف فى القاهرة .

١٤- فى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان ، سنة اثنين وستين وثلاثمائة ، دخل المعز لدين الله الفاطمى مصر .

١٥- فى شهر رمضان ، من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، لحق بربه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سلطان المغرب ، والذى قام بجهد كبير فى معركة الزلاقة .

١٦- فى الخامس والعشرين من شهر رمضان ، سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ولد العالم الجليل " الفليسوف الإسلامى" ، المفسر المشهور فخر الدين الرازى .

١٧- فى الثالث عشر ، من شهر رمضان ، سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، توفى الحافظ الكبير ، صاحب المؤلفات الكثيرة المشهورة : أبو الفرج ابن الجوزى .

١٨- فى شهر رمضان ، سنة اثنين وستين للهجرة ، تولى حكم مصر ، سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى ، وهو من أهل فلسطين ، ردها الله على العرب والمسلمين .

١٩- فى شهر رمضان ، سنة ألف وثماني وثلاثين للهجرة ، وفى ليلة القدر ، أتم المؤرخ الإسلامى الكبير : أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، تأليف كتابه الجليل : " نفح الطيب " .

٢٠- فى الرابع من شهر رمضان ؛ سنة ثماني وستمائة ، توفى الشاعر المصرى المشهور ابن سناء الملك بالقاهرة .

●●●